آراء وافكار

—((●))—

الفرق بين السَنَة والعام

« في اللغة العربية »

جاءني من الوجيه الفاضل صاحب الامضاء مايأتي :

«أتذكر اني قرأت يوماً في احدى الجرائد نبذة عن كلمتي (السنة) و (العام) وانهما ليستا بمعنى واحد ولكن نسيت ما قاله الكاتب في التفريق بينهما وأرى الكتّاب جميعهم يستعملون الكلمتين في معرض واحد . فما معنى (السنة) وما معنى (العام) وما وجه استعمال كل منهما ؟ »

دمشق : غالب الزالق

(الجواب) — يوجد لعلماء اللغة في هذا الموضوع ثلاثة جوانب من القول :

(أ) ظاهر عبارات متون اللغة انه لافرق بين السنة والعام في المعنى ولا في الاستعمال ، فالسنة هي العام والعام هو السنة فعبارة القاموس (السنة العام) وقال في محل آخر (العام السنة) ومثلها عبارة الصحاح . والظاهر من عباراتهم ايضاً ان الحول بمعناهما اي بمعنى السنة والعام فصاحب المصباح يقول (والسنة الحول) ثم قال (والعام الحول) وقال (حال حولاً من باب قال اذا مضى ومنه قيل للعام حول) . وجمعها ثلاثتها احمد بن يحيى (ثعلب) في فصيحه فقال : « والعام والحول والسنة بمعنى واحد ويأتي كل واحد منها على شتوة وصيفة » ويفهم من عبارته الاخيرة ان كلاً من الاسماء الثلاثة يشترط في مدلوله ان يشتمل على (شتوة) اي فصل شتاء كامل و (صيفة) اي فصل صيف كامل ، وذلك بأن نعتبر اول يوم من فصل الشتاء هو اول السنة فيمضي فصل الشتاء ويدخل فصل الصيف حتى آخر يوم منه فتكون السنة قد

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

تمت اما اذا اعتبرنا يوماً من وسط فصل الشتاء ثم مضى الشتاء ومضى الصيف ودخل الشتاء حتى وصلنا الى اليوم الذي بدأنا به . فان هذه الايام التي مضت لا تؤلف لنا سنةً وانما ألفت منهـا انصافاً غير متوالية . فاطلاق اسم الحول والسنة والعام عليها تجوّز وتسامح . هذا هو استعمال الكلمات الثلاث في فصيح كلام العرب عند ثعلب . وان كان لثعلب قول آخر اخبروا به الجواليقي من دون ان يسمعه هو منه كما يأتي .

(٢) مامر في معنى السنة والعام هو ظاهر متون اللغة أما الشراح فقد ذكروا فرقاً بينهما قال ابن الجواليقي : ان عوام الناس لا يفرقون بين العام والسنة ويجعلونهما بمعنى واحد فيقولون — لمن سافر في اي يوم من ايام السنة الى ان يعود ذلك اليوم — انه قد انقضى على سفره عام (يعني كما يقولون : انقضت على سفره سنة) قال وهذا غلط والصواب ما أخبرت به عن احمد بن يحيى (هو ثعلب نفسه) انه قال : (السنة) من اي يوم عددته الى مثله و(العام) لا يكون الا شتاءً وصيفاً اه يعني كاملين كما مر بيانه بحيث لا تكون البداءة من وسطهما بل من أولهما . أما السنة فبدأتها من أي يوم أردت : من اول الشتاء واول الصيف أو من وسطهما . إذن كل عام هو سنة وليست كل سنة عاماً فقد تقول أقمت في بيروت سنة ولا يصح ان تقول أقمت عاماً اذا كانت بداءة إقامتك من يوم واقع في وسط الشتاء وبقيت الى ذلك اليوم من الشتاء القابل . وحاصل الفرق ان السنة لا تسمى عاماً ما لم تتألف من صيف وشتاء كاملين متواليين والى هذا ذهب ايضاً الازهري وصاحب لسان العرب فقد قالا (العام الحول يأتي على شتوة وصيفة) .

(٣) وهناك فرق آخر بين كلتي السنة والعام نشأ عن التجوز في استعمال العرب لكلمة (السنة) مذ أصبحوا يريدون بها القحط والجدب والشدّة . قال ابن ابي الحديد في (شرح النهج) والسنة اسم لكل عام ثم غلبت على عام القحط . وقد شاع هذا الاستعمال على لسانهم بحيث اذا أطلقوا كلمة (سنة) فُهم منها هذا المعنى في الأعم الأغلب وعليه الحديث الشريف (اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف) يعني سني شدة وقحط . واستعمالها هذا جعل الفصحاء اذا أرادوا سنة الرخاء والخصب يعدلون عن استعمال كلمة (سنة) الى كلمة (عام) : فيقولون أخذهم الله بالسنة أو بالسنين وأكلتهم السنة أو السنون . ومنه قوله تعالى (ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين) كل ذلك مجاز عن شدة القحط . فهذا أكثر استعمال

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

لفظ (السنة) بخلاف العام فانه يستعمل في الخصب والرخاء . ومن ثم يقول العرب (عام الفيل) لأنه كان عام خير فرج الله فيه عن العرب كربهم وشدتهم التي أنزلها بهم أبرهة الحبشي وفيله (محمود) . وقال الراغب في (المفردات) العام كالسنة لكن كثيراً ما تستعمل السنة في الحول الذي يكون فيه الجدب والشدة ولهذا يعبر عن الجدب بالسنة ويعبر بالعام في مافيه رخاء وخصب قال تعالى : (عام فيه يُغاث الناس وفيه يعصرون) وقال تعالى (فلبث فيهم الف سنة الاَّ خمسين عاماً) . قال الراغب وفي هذه الآية (الأخيرة) نكتة لطيفة حيث عبر عن المستثنى بكلمة (العام) وعن المستثنى منه بكلمة (السنة) لأن الخمسين سنة مضت قبل بعثة نوح عليه السلام وقبلها لم يحصل له اذى من قومه (يعني فكانت سنة هناء ولذا قال خمسين عاماً) واما بعد بعثته فهي شدة عليه (يعني ولذلك قال الف سنة) اه .

هذا حاصل ماقاله علماء اللغة في معنى العام والسنة . فبعضهم وحّد بينهما وبعضهم فرّق والتفرقة من جهتين : من جهة وضع اللغة الأصلي . ومن جهة استعمال البلغاء الطارئ .

على ان التفرقة في الحالتين أغلبية لامطردة فان من تتبع كلام الفصحاء وجدهم كثيراً ما خالفوا فلم يفرقوا ولاسيما في زماننا فان المتكلمين حتى البلغاء منهم قلما يفرقون في الاستعمال بين (السنة) و (العام) الا المدقق الحريص على جعل أسلوبه مطابقاً لقوانين البلاغة وأساليب القرآن فإنه يراعي الفرقين المذكورين .

المغربي